

تفسير البغوي

* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ^ط وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ
مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ^ج ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ

قوله عز وجل : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) يعني :
مشركي العرب ، (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) لم يرد به
جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرههم وتخريب
بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم ، لا ولاء ، ولا كرامة لهم ، بل الآية فيمن
أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه ، [وقيل : نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى ،
لأن اليهود أقسى قلبا والنصارى ألين قلبا منهم ، وكانوا أقل مظاهره للمشركين من اليهود
[قال أهل التفسير : ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم ، فوثبت كل قبيلة على
من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم ، فافتن من افتن ، وعصم الله منهم من شاء ،
ومنع الله تعالى رسوله بعمه أبي طالب ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد ، أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة ،
وقال : " إن بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد ، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله
للمسلمين فرجا " وأراد به النجاشي ، واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية ، وإنما النجاشي
اسم الملك ، كقولهم قيصر وكسرى ، فخرج إليهم سرا أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وهم
عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزيير بن العوام
وعبد الله بن مسعود ، [وعبد الرحمن بن عوف] وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت
سهيل بن عمرو ، ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي
أمية ، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلي بنت أبي [حثمة] وحاطب بن
عمرو و [سهل] بن بيضاء رضي الله عنهم ، فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض
الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وهذه الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبي طالب ، وتتابع المسلمون إليها
وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان
. فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وبطارقه

ليردوهم إليهم ، فعصمه الله ، وذكرت القصة في سورة آل عمران . فلما انصرفا خائبين ، أقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا أمره ، وذلك في سنة ستة من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان - وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها فمات زوجها ، - وبيعت إليه من عنده من المسلمين فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية يقال لها أبرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، فأعطتها أوضاحا لها سرورا بذلك ، فأذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمئة دينار ، وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي رحمه الله فأنفذ إليها النجاشي أربعمئة دينار على يد أبرهة ، فلما جاءتها بها أعطتها خمسين دينارا فردته وقالت : أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئا ، وقالت : أنا صاحبة دهن الملك وثيابه ، وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنت به ، وحاجتي منك أن تقرئني مني السلام ، قالت نعم : وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكر . قالت أم حبيبة

: فخرجنا إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فخرج من خرج إليه وأقامت
بالمدينة حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي
فقرأت عليه من أبرهة السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما السلام ، وأنزل
الله عز وجل : " عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة " يعني : أبا
سفيان مودة ، يعني : بتزويج أم حبيبة ، ولما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة ، قال : ذلك
الفحل لا يقرع أنفه . وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ابنه أزهي بن أصحابه بن أبجر في ستين رجلا من الحبشة ، وكتب إليه : يا رسول الله
أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت الله رب
العالمين ، وقد بعثت إليك ابني أزهي ، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك
يا رسول الله ، فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ،
ووافي جعفر وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف
، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من [أهل] الشام ، فقرأ عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم سورة " يس " إلى آخرها ، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا ، وقال : آمنوا ،

وقالوا : ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام ، فأُنزل الله سبحانه وتعالى هذه

الآية (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) يعني : وفد النجاشي

الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون ، وكانوا أصحاب الصوامع . وقال مقاتل والكلبي كانوا

أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية روميين من أهل الشام . [وقال عطاء :

كانوا ثمانين رجلا ، أربعون من أهل نجران من بني الحرث بن كعب ، واثنان وثلاثون من

الحبشة وثمانية روميين من أهل الشام] . وقال قتادة : نزلت في ناس من أهل الكتاب

كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام ، فلما بعث الله محمدا صلى

الله عليه وسلم صدقوه وآمنوا به فأثنى الله عز وجل بذلك عليهم . (ذلك بأن منهم

قسييسين) أي علماء ، قال قطرب : القس والقسييس العالم بلغة الروم ، (ورهبانا)

الرهبان العباد أصحاب الصوامع ، واحداهم راهب ، مثل فارس وفرسان ، وراكب

وركبان ، وقد يكون واحدا وجمعه رهايين ، مثل قربان وقرايين (وأنهم لا يستكبرون)

لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق .